# أسس بناء
# الروابط الاجتماعية في السنة النبوية

**د. إياد أحمد محمد سلامة: أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد بكلية العلوم والآداب – جامعة نجران**

## بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

## ملخص

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد:

ففي بحثي الموسوم بـ: أسس بناء الروابط الاجتماعية في السنة النبوية، تناولت فيه التعريف بالروابط الاجتماعية، وتكلمت عن سبب التسمية بـ «الروابط الاجتماعية»، ثم وضحت علاقة الروابط الاجتماعية بالبناء الاجتماعي في المجتمع، وبينت أسس بناء الروابط الاجتماعية في السنة النبوية، إذ هي الأساس الذي قام عليه البحث، وقد خلصت إلى أن أسس بناء الروابط الاجتماعية في السنة النبوية، تعود إلى أربعة رئيسية، هي: الأساس العقدي، التعبدي، التشريعي، والأخلاقي. كما لاحظت شدة الارتباط والتكامل بين الأسس، فقد كانت خادمة لتحقيق العبودية لله وحده. هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## *Abstract*

*Praise be to Allah, Who taught by the pen, the science that man no one knows. Prayer and peace be to the Prophet and his family, companions and those who follow him till the Day of Judgment.*

*This research studies the definitions of social ties and the reasons behind such a concept. It explains the relationship between these social ties and social construction in the community. As a basic point, it shows the assets of these social ties in Sunnah. The research arrives that the assets of these social ties constructions in Sunnah refers to four major points, which are: the dogmatic basis, worshipful basis, Legislative basis, and moral basis. It also arrives to this strong Link and integration between these bases, is that they all serve the concept of worshiping to Allah only. Finally, Praise be to Allah, the Lord of the Worlds.*


## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين.

مما لا شك فيه أن الكتابة في أسس بناء الروابط الاجتماعية في السنة النبوية من الأهمية بمكان، لما لهذا الموضوع من أهمية خاصة في تعريفنا بطريقة تكوين البناء الاجتماعي، والذي يعدّ أساسا في قيام المجتمع الإسلامي الأول الذي تصبو النفوس إليه، وتحرص أشد الحرص للوصول إليه أو إلى بعض ملامحه وسماته.

ومن هنا: جاءت أهمية الكتابة في هذا الموضوع، مع ما يعتريه من صعوبات في جمع المادة العلمية، حيث حرصت على استطلاع جوانب حياته الاجتماعية ﷺ، وأخذت ما يخدم موضوع بحثي، ثم تناولته بالدرس والاستنباط، إلى أن جاء بهذه الصورة النهائية. حيث بدأته بالتعريف بالروابط الاجتماعية، وسبب التسمية بـ «الروابط الاجتماعية»، ووضحت علاقة الروابط الاجتماعية بالبناء الاجتماعي في المجتمع، ثم فصلت أسس بناء الروابط الاجتماعية في السنة النبوية، وخلصت إلى أن أنها تعود إلى

أربعة رئيسية، هي: الأساس العقدي، التعبدي، التشريعي، والأخلاقي. وأخيرا كانت خاتمة البحث، تكلمت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها، وعن توصيات البحث.

## المبحث الأول

## التعريف بالروابط الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي

### المطلب الأول: التعريف بالروابط الاجتماعية

عبارة عن أنماط معينة ومقررة من السلوك تنبثق عن القواعد والمعايير التي تدخل في تكوين البناء الاجتماعي الشامل.

**سبب التسمية بـ «الروابط الاجتماعية» وتفضيلها على التسمية بـ «العلاقات الاجتماعية»**

من خلال مراجعة معاجم اللغة العربية[1] تبين لي أن الروابط فيها معاني: الملازمة والتقوية والشدّة والمواظبة والمحافظة، وأما العلاقة: ففيها معنى اللزوم فقط.

### المطلب الثاني: علاقة الروابط الاجتماعية بالبناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي

الشيء المهم في دراسة البناء الاجتماعي، هو دراسة العلاقات والروابط الاجتماعية المتبادلة التي تقوم بين هؤلاء الأشخاص أو تلك الزمر الاجتماعية[2].

(1) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، عدد الأجزاء: 1، (1/ 861). ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر – بيروت، الأولى، (7/ 302). ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399هـ - 1979م. المحقق: عبد السلام محمد هارون، (2/ 478). مادة (ربط). وكذلك انظر: القاموس المحيط (1/ 1176)، لسان العرب (10/ 261)، ومعجم مقاييس اللغة (4/ 125). مادة (علق).

(2) أبو زيد، أحمد : البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، ص: 21، 2001م.

**البناء الاجتماعي**: هو تجريد لأنماط السلوك الناتجة عن التفاعل بين أعضاء المجتمع. في علم الاجتماع؛ الأشخاص هم لبنات المجتمع، والمجتمع كالكائن الحي. وفكرة النسق والبناء الاجتماعي تقوم على تشابك وتكاتف وتعاون نظمه المختلفة في المشاركة لقيام البناء الشامل واستمراره[1] ... وهذا ما أتى به الإسلام من قبل.

## المبحث الثاني

## أسس بناء الروابط الاجتماعية

### المطلب الأول: الأساس العقدي

جعل الإسلام رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم، وإن أقر بعض الأواصر الأخرى إذا انضوت تحت هذا الأصل مثل الأرحام التي حث الإسلام على وصلها، ومثل صلة الجوار، والصلة بين أفراد العشيرة، و الصلة بين أبناء المدينة وجعلهم أولى من سواهم بزكاة أغنيائهم .. لكن هذه الصلات ينبغي أن تنضوي تحت آصرة العقيدة ، فإذا خالفتها وأضرت بها لم يبق لها أي اعتبار ، فأساس الارتباط في الإسلام هو العقيدة التي قد تقتضي مصلحتها التفريق بين المرء وأبيه أو ابنه أو زوجته أو عشيرته ... وهكذا قاتل أبو عبيدة ﷺ أباه – وهو يمجد الأصنام – فقتله عندما التقى به في معركة بدر الكبرى. وقول عبد الله بن أبيّ ابن سلول: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويقصد بالأذل النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فردّ عليه ابنه عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله العزيز ففعل[2]. وقد كان عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بارّا بأبيه هيابا له[3]، لكن

(1)المرجع السابق.

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن 5/ 417 كتاب التفسير، بإسناد قال عنه: حسن صحيح. قال الألباني: صحيح. دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(3) الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير: مسند الحميدي 2/ 520 أحاديث جابر بن عبد الله. دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي – بيروت، القاهرة. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

مصلحة العقيدة هي المعتبرة عنده ، فلما رأى أباه يؤذي المسلمين عرض على النبيّ أن يقتله ويأتيه برأسه[1].

وقد حصر الإسلام الأخوة والموالاة بين المؤمنين فقط، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحُجُرات:10]، وقد قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من المشركين واليهود والنصارى حتى لو كانوا آباءهم وإخوانهم أو أبناءهم ووصف من يفعل ذلك من المؤمنين بالظلم مما يدل على أن موالاة المؤمنين للكافرين من أعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:23][2].

فالرجل الصفيق الوجه، المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، يقول رسول الإسلام في وصف حاله: «الْحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ »[3]!. والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكما قاسيا، فيقول فيه الرسول ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»!!. وتجد الرسول ﷺ عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة والهذر يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

(1) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 9/ 288، ح 15761، رواه البزار ورجاله ثقات. دار الفكر- بيروت، 1412هـ، 1992م.

(2) العمري، أكرم ضياء: المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى. ص 81-84، الطبعة الأولى، 1403ه-1983م، المجلس العلمي – إحياء التراث الإسلامي.

(3) النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، الأولى، 1427هـ. ( 1/ 22 )، ح (58)، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، فَقَدِ احْتَجَّا بِرُوَاتِهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ. ووافقه الذهبي.

فليقل خيرا أو ليصمت». وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمدا على صدق الإيمان وكماله[1].

## المطلب الثاني: الأساس التعبدي

**أولا**: ينبع أهمية هذا الأساس من جانبين:

1) تربية الوجدان الديني لدى المسلم فيكون المسلم مؤتلفاً متحاباً مع إخوانه المسلمين فينشأ مجتمع متحاب.

2) النفع العام للمجتمع[2].

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك، ما يأتي:

حديث: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار»[3]. فالمعصية في نظر الإسلام اعتداء اجتماعي لا يزول أثره إلا بتعويض المجتمع بنوع من التكافل والتضامن[4].

حديث: «يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[5]. ما علاقة الصلاة بالأمور المتقدمة عليها – وهي أمور اجتماعية –؟

---

(1) الغزالي، محمد : خلق المسلم، دار الريان للتراث – القاهرة، ط 1، 1408هـ – 1987م. فصل: ضعف الخُلق دليل على ضعف الإيمان، ص 10.

(2) أشار إلى ذلك: د. محمد أبو زهرة، انظر كتاب: النظم الاجتماعية في الإسلام، د. محمد عبد المنعم نور.

(3) سنن الترمذي (5/ 11)، ح 2616. وهو جزء من حديث طويل. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح.

(4) انظر كتاب: نحو علم الاجتماع الإسلامي، د. زكي محمد إسماعيل، ص: 93-94.

(5) المستدرك (3/ 13)، ح 4283. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ورواه أيضا الترمذي وصححه وآخرون. انظر: سنن الترمذي (4/ 233)، ح 2485.

**أولا**: الصلاة في جوف الليل يرمز إلى مركز الجذب في الاجتماع الإسلامي، ألا وهو: حبّ الله ومخافته وتقواه.

**ثانيا**: أنَّ القرآن أكَّد في حثِّه على صِلة الرحم، وإطعام الفقير والمسكين، وتكريم اليتيم، وأدب التعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور التي تُنمِّي الصِّلات الإنسانية، أَكَّد على أنَّ هذه الأعمال إنما هي أمورٌ تَعبديَّة يتقرّب بها الإنسان إلى الله تعالى، ويُثاب عليها.

**ثالثا**: كما يشير القرآن الكريم إلى مبدأ مهم في التعامل مع الآخرين. فالدِّينُ في المنظور القرآني ليس صلاةً وصياماً في جهة، وجلافةً وجَفَاءً في التعامل مع الناس في الجهة الأخرى، بل هو وِحْدَةٌ متكاملة يرتبط فيها الجانب الإيماني بالجانب العَملي في الحياة. قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:177]. فهذه الآية تشير إلى ملامح الشخصية الإسلامية التي ترتكز على جانبين اثنين: جانب الفكر والإيمان وأداء العبادات، وجانب الممارسة في السلوك الذاتي، وفي العلاقة مع الناس، ومع المواقف الصعبة في الحياة. نلمح ذلك من خلال تحديد طبيعة البِرّ الذي يعني التوسُّع في الخير والإحسان، كما يذكر أهل اللغة[1]، لأنه يمثِّل سرّ الشخصيّة لدى المؤمن في آفاق التصوّر وميدان التعامل. فبالإيمان والعمل تتكامل الشخصية وتنطلق.

**رابعا**: فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها، فقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة : بيروت ، ص 40 .

﴿ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:45]. فالإبعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة... والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هي - أولا - غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات. وقد نص القرآن على الغاية من إخراج الزكاة بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:103]. فتنظيف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى. ومن أجل ذلك وسّع النبيّ ﷺ في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة»[1]. وكذلك شرع الإسلام الصوم، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائما من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكرة. وإقرارا لهذا المعنى، قال الرسول ﷺ: «من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» وقال: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد، وجهل عليك، فقل: إني صائم»[2]. والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183]. وقد يحسب الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة، الذي كلف بها المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على

(1) سنن الترمذي (4/ 339)، ح 1956. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وأبو زميل اسمه سماك ابن الوليد الحنفي، قال الألباني: صحيح.

(2) المستدرك (1/ 430)، ح 1570. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

بعض أتباعه ، يحسب الإنسان هذا السفر رحلة مجردة عن المعاني الخلقية، ومثلا لما قد تحتويه الأديان أحيانا من تعبدات غيبية. وهذا خطأ، إذ يقول الله تعالى – في الحديث عن هذه الشعيرة –: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:197]. هذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام، وعرفت على أنها أركانه الأصيلة، نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق. إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول ﷺ في قوله: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق». فالصلاة والصيام والزكاة والحج، وما أشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام، هي مدارج الكمال المنشود، وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها، ولهذه السجايا الكريمة – التي ترتبط بها أو تنشأ عنها – أعطيت منزلة كبيرة في دين الله. فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه! ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: 74–76][1].

## المطلب الثالث: الأساس التشريعي

ويبرز هذا الجانب الهام بما شرعه الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لنا من أحكام وتشريعات بما تشتمل عليه من أوامر ونواه، في سبيل تنظيم الروابط الاجتماعية وتوثيقها في المجتمع الإسلامي، ومن الأهمية بمكان الكلام حولها بالإجمال، مع التنويه إلى صعوبة حصرها أو الإحاطة بها جميعا، وإليك بيان ذلك:

(1) خلق المسلم، المقدمة: أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق، ص 7–9.

**1) النهي عن الحسد والتباغض والتدابر والظن والتهاجر**

– أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[1].

التدابر المعاداة، وقيل المقاطعة، لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد تمني زوال النعمة وهو حرام، ومعنى كونوا عباد الله إخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال[2]. قال القرطبي: المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة، ولعل قوله في الرواية الزائدة «كما أمركم الله» أي بهذه الأوامر المقدم ذكرها فإنها جامعة لمعاني الأخوة[3].

قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأُول بنص الحديث والثاني بمفهومه، قالوا وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفي عن الهجرة في

(1) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري، كتاب: الأدب، (57) باب مَا يُنْهَى عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، ح 6065. المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).

(2) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، ح 2559. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ.

(3) فتح الباري، كتاب: الأدب ، (57) باب مَا يُنْهَى عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، ح 6065.

الثلاثة ليذهب ذلك العارض. قوله ﷺ (وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) أي هو أفضلهما[1]. فهي دعوة إلى المبادرة بالصلح وتطييب نفوس الآخرين وإزالة ما علق بها من ضغينة أو كره، مع التنويه إلى أن فاعل ذلك له الأفضلية والخيرية عند خالقه ومولاه ﷻ.

**-وللحسد من الآثار السيئة ما لا يحصى، فمنها:**

أنه يورث البغضاء بين الناس؛ لأن الحاسد يبغض المحسود، وهذا يتنافى مع واجب الأخوة بين المؤمنين، وأنه يحمل الحاسد على محاولة إزالة النعمة عن المحسود بأي طريق ولو بقتله، كما قص الله تعالى عن ابني آدم .. ومن أضراره أنه يحمل الحاسد على الوقوع في الغيبة والنميمة، فيغتاب المحسود ويسعى فيه بالنميمة، وهما خصلتان قبيحتان وكبيرتان من كبائر الذنوب. ومن أضراره أن الحاسد لا يزال في همّ وقلق وغيظ لما يرى من تنزل فضل الله على عباده.

**2) تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها**

- أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً"[2].

قوله ﷺ (إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) المراد: النهي عن ظن السوء، قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك. ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما

(1) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الهجرة فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي، ح [ 2560 ][ 2561 ][ 2562 ].

(2) فتح الباري، كتاب: الأدب، (57) باب مَا يُنْهَى عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، ح 6064

يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به كما سبق في حديث تجاوز الله تعالى عما تحدثت به الأمة ما لم تتكلم أو تعمد، وسبق تأويله على الخواطر التي لا تستقر. ونقل القاضي عن سفيان أنه قال: الظن الذي يأثم به هو ما ظنه وتكلم به، فإن لم يتكلم لم يأثم[1].

قال القرطبي: هذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات:12]، فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان أبحث لأتحقق ، قيل له «ولا تجسسوا»، فإن قال تحققت من غير تجسس، قيل له «ولا يغتب بعضكم بعضا». قال الحافظ ابن حجر: وأما وصف الظن بكونه أكذب الحديث، مع أن تعمد الكذب الذي لا يستند إلى ظن أصلا أشد من الأمر الذي يستند إلى الظن، فللإشارة إلى أن الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه فيعتمد عليه ويجعل أصلا ويجزم به، فيكون الجازم به كاذبا؛ وإنما صار أشد من الكاذب لأن الكذب في أصله مستقبح مستغنى عن ذمه، بخلاف هذا فإن صاحبه بزعمه مستند إلى شيء فوصف بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه غالبا ووضوح الكذب المحض[2].

(ولا تحسسوا ولا تجسسوا) الأول بالحاء والثاني بالجيم، قال بعض العلماء: التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم البحث عن العورات، وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر. قوله ﷺ (ولا تنافسوا ولا

(1) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ح 2563.

(2) فتح الباري، كتاب: الأدب، (57) باب مَا يُنْهَى عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، ح 6064.

تحاسدوا) قد قدمنا أن الحسد تمني زوال النعمة، وأما المنافسة والتنافس فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به، ونافسته منافسة إذا رغبت فيما رغب فيه، قيل معنى الحديث التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها. قوله ﷺ (لا تهجروا)[1] المراد: النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام، وقيل يجوز أن يكون لا تهجروا أي تتكلموا بالهجر بضم الهاء وهو الكلام القبيح[2].

- **من مضار (التجسس)**

(1) دليل ضعف الإيمان وفساد الخلق، ودناءة النّفس وخسّتها.

(2) يوغر الصّدور ويورث الفجور، ويورد صاحبه موارد الهلاك.

(3) يؤدّي إلى فساد الحياة وكشف العورات[3].

(4) تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وحرمة دمه وعرضه وماله:

قوله ﷺ **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)** قال العلماء: الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي. ولا يحقره أي لا يحتقره، فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله[4].

---

(1) قال النووي: كذا هو في معظم النسخ وفي بعضها تهاجروا وهما بمعنى

(2) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ح 2563.

(3) حميد وآخرون، صالح بن عبد الله: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط الرابعة، (9 / 4132).

(4) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح 2564.

- **من مضار (الظلم)[1]، وبيان بعض الحِكم في سبب تحريمه**

(1) يجلب غضب الرّبّ وسخطه ويتسلّط على الظّالم بشتّى أنواع العذاب.

(2) يخرّب الدّيار وبسببه تنهار الدّول.

(3) تحاشي الخلق عن الظّالم وبعدهم منه لخوفهم من بطشه.

(4) معصيته متعدّية للغير.

(5) عدم الأخذ على يد الظّالم يفسد الأمّة.

- **من مضار (التخاذل)[2]، وبيان بعض أسباب تحريمه**

(1) يبغض اللهّ فاعله ويجعله عرضة لأليم عقابه.

(2) يفكّك عرى المجتمع ويهدم بنيانه.

(3) صفة ذميمة في النّفس ونقص في المروءة.

(4) من فعله كان سبّة في مجتمعه منبوذا في عشيرته.

(5) صفة ذميمة تدلّ على خسّة في الطّبع ولؤم في النّفس.

**5) النهي عن الشحناء**

أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا». الشحناء: العداوة والبغضاء، و (أنظروا هذين) بقطع الهمزة أخروهما حتى يفيئا أي: يرجعا إلى الصلح والمودة[3]. وفي قوله ﷺ إشارة إلى أمر جدّ خطير،

(1) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10 / 4926).

(2) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (9 / 4144).

(3) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الشحناء، ح 2565.

وهو عدم المغفرة للمتخاصمَيْن، إلى حين العودة إلى رشدهما، والترفع عن خلافاتهما، وإيثار الصلح والتصافي على التخاصم والتعادي.

### 6) استحباب العفو والتواضع

قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان:63]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فُصِّلَت:34].

قوله ﷺ **(وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا)** فيه وجهان: أحدهما: أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك. قوله ﷺ **(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** فيه أيضا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا[1].

مما تقدم تبين لنا أهمية العفو والتواضع، وأن ثوابهما لا يقتصر فقط على الجزاء بالآخرة ونيل محبة الله تعالى ورضاه، بل يتعدى نفعهما إلى الحياة الدنيا، حيث يسود صاحبهما ويجلّ وتعظم مكانته في القلوب، وكذلك ينال محبة الناس وإقبالهم عليه.

### 7) ذم ذي الوجهين وتحريم فعله

أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ**»[2].

(1) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، ح 2588.

(2) فتح الباري، كتاب الأدب، (52) باب مَا قِيلَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ، ح 6058.

قال الحافظ ابن حجر: «قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس». وقال النووي: «هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة. قال: فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود»[1].

### 8) تحريم النميمة

وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وأما قوله ﷺ **(ألا أنبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس)** فالعضه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه.. وتقدير الحديث والله أعلم: ألا أنبئكم ما العضه، الفاحش الغليظ التحريم[2].

وأما الحكمة من تحريم النميمة، فهو الحرص على وحدة الأمة وتماسكها وذلك من خلال تشريعات عديدة تعمّق هذا الجانب، ومن ذلك: قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمّام**» متفق عليه. وكما هو معلوم، فإنّ الجزاء من جنس العمل؛ وعاقبة النمّام عدم دخول الجنّة، للأسباب الآتية:

1- أنّ الجنّة هي دار اجتماع وألفة ومنزل محبة ومودّة، فلا تكون المناسبة لحياة النمامين الذين يفرّقون بين الأحبة، ويقطعون أواصر المحبة.

2- كما كانوا يفرّقون بين الناس في الدنيا بالنميمة، فليفرَّق بينهم وبين المؤمنين في الآخرة، جزاء ما قدّمت أيديهم.

(1) فتح الباري، كتاب الأدب، (52) باب مَا قِيلَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ، ح 6058. وانظر: شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، ح 2556.

(2) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، ح 2606.

3- كما كانوا يفسدون على الناس معيشتهم في الدنيا، فليعيشوا في ضنك وضيق، لا يجدون وليّاً ولا نصيراً[1].

### 9) استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء

قوله ﷺ «**ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» معناه: سهل منبسط، فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قلّ، حتى طلاقة الوجه عند اللقاء[2].

### 10) كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ

- جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**كل معروف صدقة**»[3].

- سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قال النبي ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ، قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**»[4].

- في الحديثين المتقدمين: إشارة إلى اتساع دائرة الصدقة، لتشمل كل معروف يبذله المسلم اتجاه إخوانه المسلمين، وفي هذا ما لا يخفى من الحث على بذل المعروف وتقديم العون والمساعدة لكل من يحتاجها. وتجدر ملاحظة أهمية الترتيب في الحديث؛ حيث إنه أمر أولا بفعل المعروف وبذله، ثم ثانيا الأمر بالمعروف أو الخير إن لم يمكنه فعله، وأخيرا – إن لم يفعل الأولى والثانية – أن يمسك عن الشرّ، ولا يخفى ما

(1) انظر كتاب: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، د. محمد السيد الوكيل، ص: 151.

(2) شرح النووي على مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ح 2626.

(3) فتح الباري، كتاب الأدب، (33) باب كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، ح 6021.

(4) فتح الباري، كتاب الأدب، (33) باب كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، ح 6022.

في كل ذلك من أهمية كبرى في توثيق الروابط الاجتماعية وتعزيزها وصيانتها ما لا يخفى على كل ذي لبّ.

**11) مخالطة الناس والانبساط إليهم**

أَنَس بْنَ مَالِك ﷺ يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»[1].

والدعابة: هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره، وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقا». وأخرج من حديث ابن عباس رفعه: «لا تمار أخاك وتمازحه» الحديث، والجمع بينهما: أن المنهي عنه، ما فيه إفراط أو مداومة عليه، لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويؤول كثيرا إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب، قال الغزالي: من الغلط أن يتخذ المزاح حرفة، ويتمسك بأنهﷺ مزح[2].

**12) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**

قوله (من حسن إسلام المرء) أي: من جملة محاسن إسلام الإنسان وكمال إيمانه (تركه ما لا يعنيه). قال العلامة المباركفوري: «قال ابن رجب الحنبلي في كتاب (جامع العلوم والحكم) في شرح هذا الحديث ما لفظه: معنى هذا الحديث، أن من حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، واقتصاره على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه: أنه يتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الاهتمام بالشيء، يقال: عناه يعنيه، إذا اهتم به وطلبه، وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا

(1) فتح الباري، كتاب الأدب، (81) باب الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: خَالِطِ النَّاسَ وَدِينَكَ لاَ تَكْلِمَنَّهُ. وَالدُّعَابَةِ مَعَ الأَهْلِ، ح 6129 .

(2) المرجع السابق.

يعني كله، من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات، التي لا يحتاج إليها، فإن هذا كله لا يعنيه المسلم إذا كمل إسلامه انتهى مختصرا»[1]. ولعل الناظر في واقعنا المعاصر والمتأمل لأحوال العامة، يجد أن كثيرا من الخلافات والمخاصمات التي تنشأ بينهم، يعود سببها في المقام الأول إلى تدخّل المرء فيما لا يعنيه، ولئن اقتصر كل رجل أو امرأة على ما يعنيه أو يعنيها فقط، لما وجدت كثير من الخلافات والمشكلات بين الناس، وصدق رسولنا الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم –.

### 13) شكر المعروف

أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[2].

هذا الكلام يتأول على وجهين: أحدهما أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه. والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم، لاتصال أحد الأمرين بالآخر[3]. في الحديث: شدة التنفير من نكران جميل الآخرين وجحود إحسانهم، واستنكار عدم مجازاتهم على إحسانهم، ولو بأقل القليل، وهو: شكرهم بقوله: جزاك الله خيرا[4]، على إحسانهم وجميل معروفهم.

---

(1) تحفة الأحوذي، أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، ح 2318.

(2) الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد: معالم السنن شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى 1351 هـ – 1932 م، كتاب الأدب، باب شكر المعروف، (4/ 113)، ح 1324.

(3) المرجع السابق.

(4) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ". أخرجه الترمذي (4/ 380)، ح 2035 وقال: حسن جيد غريب. وصححه الألباني (المشكاة 3024).

## المطلب الرابع: الأساس الأخلاقي

فقد أصّل القرآن الكريم لأدب التعامل مع الآخرين وأقامه على مجموعة من القواعد والفنون، التي نضمن من خلالها نتائج إيجابية وحسنة في العلاقات الإنسانية، وهذه القواعد والفنون كثيرة ومتنوعة، غير أنّ هناك قاعدة قرآنية تُعدُّ أصلاً تتفرع عنه كل قواعد التعامل مع الآخرين، هذه القاعدة هي «حُسْنُ الخُلُق»، إذْ لا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين دون هذا الأصل المتين. ومن هنا فقد مدح الله تعالى نبيّه بهذه الصفة، فقال عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4]، ووصفته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنه «كان خلقه القرآن»[1].

فحُسْنُ الخُلُق أصْلٌ في أدب التعامل، وتتفرع عنه سلوكيات كثيرة. ويُنبِّه المصطفى ﷺ إلى أهميَّة حُسْن الخُلُق في التعامل مع الآخرين، فيقول: «إنَّكم لا تَسَعُونَ النَّاسَ بأموالِكم، ولكنْ يَسَعُهُم منْكم بَسْطُ الوجْهِ وحُسْنُ الخُلُق»[2]. وفي هذا الحديث الشريف عِظَةٌ نافعة وحِكمة بالغة، فإنَّ الإنسان مهما بَذَل من المال لا يحظى برضى الناس، ثم إنَّ المال ليس في مقدور كلّ إنسان، ولكن مقدور كلِّ واحدٍ أنْ يُحسن خُلُقه، ويلين جانبه، ويخفض جناحه، ويبسط وجهه. وهذا الأدب في التعامل مع الآخرين، خيرُ مُعينٍ على تذليل صعوبات الحياة، وتخفيف آلامها، لأنه يبعث السرور في النفس، وبه تطيب المعاشرة وتصفو المعيشة. ويتحدث الإمام الغزالي عن أهم هذه السلوكيات المترتبة على حُسن الخُلُق، فيقول - بأن من صفات الشخص الذي يوصف بحسن الخُلُق أنه -: «يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الإصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، بَرّاً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكوراً رضيّاً، حليماً رفيقاً، عفيفاً شفيقاً، لا لعَّاناً ولا سبّاباً، ولا نمّاماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً،

(1) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل: المسند، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها. ( 6/ 91 )، ح ( رقم 24645)، حديث صحيح.

(2) المستدرك على الصحيحين ( 1/ 124 )، ح (427 و 428)، رواه الحاكم وصححه.

ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشّاشاً هشّاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حُسن الخلق»[1].

(1) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار لزين الدين العراقي، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن عمران، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1412هـ/ 1995م)، ج3، ص82.

# خاتمة

وفي الختام، ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها خلال بحثي، وهي:

1) أهمية الروابط الاجتماعية، وأثرها الكبير في قوة المجتمع الإسلامي وتماسكه.

2) قوة الروابط الاجتماعية وتعمقها في المجتمع المسلم الأول، وعدم تأثرها بما قد يهددها أو يضعفها.

3) أسباب تعمق الروابط الاجتماعية وتماسكها، يعود بالدرجة الأولى إلى متانة الأسس التي بنيت عليها (العقدي، التعبدي، التشريعي، الأخلاقي).

4) كان من نتائج وآثار الروابط الاجتماعية وتماسكها، ما يعجز القلم عن بيانه أو حصره، إن كان على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي.

وأما ما أوصي به، فهو زيادة الاهتمام بالأبحاث المتعلقة بالجانب الاجتماعي من سنته ﷺ، لما له من أهمية خاصة في قوة المجتمع ونمائه، وكذلك حلّا لكثير من المشكلات التي نواجهها في واقعنا المعاصر.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

# ثبت المراجع


- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399هـ - 1979م . المحقق: عبد السلام محمد هارون.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر – بيروت، الأولى.
- أبو زيد ، أحمد: البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، 2001م.
- انظر كتاب: نحو علم الاجتماع الإسلامي، د. زكي محمد إسماعيل، ص: 93-94.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- حميد وآخرون، صالح بن عبد الله: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ، ط 4.
- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير: مسند الحميدي. دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي – بيروت، القاهرة. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد: معالم السنن شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية – حلب، ط 1، 1351هـ - 1932م.

■ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة: بيروت.

■ الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل: المسند، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

■ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط 2، 1404 – 1983، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

■ العمري، أكرم ضياء: المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى، المجلس العلمي – إحياء التراث الإسلامي، ط 1، 1403هـ- 1983م.

■ الغزالي محمد: خلق المسلم، دار الريان للتراث – القاهرة، ط 1، 1408هـ – 1987م.

■ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار لزين الدين العراقي، دار الحديث – القاهرة، ط1، 1412هـ- 1995م. تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن عمران.

■ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، عدد الأجزاء: 1.

■ المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

■ مجموعة من العلماء: موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني.

■ نور، محمد عبد المنعم: النظم الاجتماعية في الإسلام.

■ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ.

■ النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ط 1، 1427هـ.

■ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الفكر- بيروت، 1412هـ، 1992م.